IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 4 ، العدد 2 ، كانون الاول 2023

ترميز القضايا السياسية في روايات احمد خلف

نورة علي مهدي [1] ، ا. م. د. محمد انور اسماعيل [2]

الملخص

لقد بين البحث نوعية الترميز وعلاقته بقضايا المجتمع، التي برزت في دورها للواقع الاجتماعي، لذلك نبين فيها أسلوباً أيديولوجيا التي استخدمها الكاتب بصفته عنصر ذات للأنسان الواقعي، الرابط بين جميع عناصر السلطة في مجالات رمزية ودلالية. فالسلطة هي عنصر الصراع الذي بين فيه (أحمد خلف) أشكاله المتنوعة الترميز ما بين الفرد والجمع، اللذان أعتبرهما العنصر الفعال بين سلطة الفرد وسلطة الجمع، التي أخذت في مجالات الابداع الفني في نصوص الكاتب، لذلك بين من خلالها الصراعات السياسية ونوعية تصور السلطة، مع صورة مشهدية للمجتمع من خلال الصراعات بينهما، التي بين فيها نمط الاحداث ونوعية تحولاتها الرمزية، لشخصية السلطة في مزايا عدة ما بين الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية : الترميز، السلطة، الفرد، الجمع، الصراع

انتساب الباحثين
[1، 2] الجامعة المستنصرية، كلية التربية الاساسية، العراق، بغداد، 10064

[1] noora96aaa@gmail.com
[2] mohmoh_mm.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر: كانون الاول 2023

Coding Political Issues in the Novels of Ahmed Khalaf

Noora Ali Mahdi [1] , a .M.Dr Mohammed Anwar Ismail [2]

Abstract

It has actually become a place in the business world, in fact, in social reality, in fact, in related ideas. Authority is the element of conflict in which its various forms show different forms between the individual and the plural, which I consider effective between the authority of the individual and the authority of the plural, which begins in the areas of artistic creativity in the writer's texts. Age between them, which range from half between them, which is a model, for a figure of authority in several advantages between time and space.

Keywords: Coding, Power, Individual, Plural, Conflict

Affiliation of Authors
[1, 2] Al-Mustansiriya University, Faculty of Basic Education, Iraq, Baghdad, 10064

[1] noora96aaa@gmail.com
[2] mohmoh_mm.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Dec. 2023

المقدمة

شكلت نصوص الروائي (أحمد خلف) نوعية فن الترميز الذي قدمه من خلال السرد العربي، فقد أختص هذا الفن بين الواقع الحقيقي للأحداث التي سارت في البلاد العربية، فكان نوع هذا التشكيل الفني ما بين السلطة التي بينت مواجهتها في مفهومها السوسيولوجي، وبين التصوير الرمزي للمجتمع لبيان نمط السلطة في ظواهرها الاجتماعية. التي انمازت باستعمال آليات الزمن للشخصيات السياسية، في مدارها الدرامي مبيناً نوعية التغيرات والتصورات، التي تؤثر حواراتها في المجتمع ما بين السلطة والفرد، معتمداً على المعايير السياسية والدينية والاجتماعية.

أولاً: قضية السلطة

لقد ارتبط هذا النوع من الترميز منذ القدم في الأدب العربي، إذ لا يوجد أدب لا يقوم على الترميز ولو بالنسبة البسيطة؛ لأن خاصيّة الأدب الأساسية هي التأويل. وقد ربط الروائي أحمد خلف نوعيّة السلطة الحقيقية التي تمارس دورها بين مفهومي الواقع والافتراضي. والمراد بمفهوم السلطة:((المفهوم السوسيولوجي للسلطة بالتسلط، وخاصة السلطة السياسية في ذاكرة السرد العربي، فكانت موجهاً مهماً في تشكيل الوعي الكتابي، ما يجعله مشدوداً إلى هاجس مواجهتها، وتعريتها من الرتوش المزيفة التي تتوارى خلفها، وتهشيم ركائزها من الخارج، والداخل، حتى شكّل هذا الهاجس باعثاً أيديولوجياً، ينطلق من الذات الإنسانية، بعيداً عن

توجهاتها الحزبية، أو الفئوية، وقد تمكن هذا الباعث في تبني مضامينه، وتفعيل آلياته، وتقنياته، وصولاً إلى تعرية الواقع، والمبادئ المزيفة التي يتشبث بها))[1].

فالروائي ــ يستعمل آليات التصوّر السردي عن مفهوم السلطة التي تتبعها لعقودٍ من الزمن؛ لذا قد نصل إلى تعريف السلطة، بأنّها السلطة الحاكمة للدولة، التي تتمثل بالقوانين والدستور القضائي العادل، فإنها تتشكل من خلال تحقيق المحاكم والمجالس التي تبيّن عدالتها المعمولة من قبل الدولة. وهذه النظرية تظهر الواقع الذي دوّنه الكاتب في رواياته رمزياً، وهذه القوانين المحضة قد اندرجت في خيال المواطنين أكثر من كونها قد تحققت على أرض الواقع. فهي لم تُحقق الغايات والأهداف الدستوريّة التي وُضعت من أجلها والمتمثّلة بحماية الناس وحفظ حقوقهم وكفالة حرياتهم. فالكاتب في رواياته قد داخل بين الفن والسلطة، بشكل رمزي له قيمة مثلى؛ لأجل عامل الديمومة والاستمرارية في هذا المعنى المتصل من عمق التاريخ إلى اليوم. أي أخذ الروائي بتسجيل الأحداث، ((كقيمة، ورمز، ودلالة، بصفتها فعلاً جمالياً، جوهره الاكتشاف والإبداع الذي يتأسس في جزء كبير منه على وهج الخيال الإنساني وبصفته أثراً يقبل بالخلود بيننا، وحقيقة يجب تبجيلها. لذلك، يبقى للفن سلطته التي يمارسها من داخله، ويسقطها على عيوننا، حال أن مثلت الأخيرة بصفته جزءا من المرء، فتبصر المرئي وتستبصر اللامرئي، مثلما له من الانفعالات والأحاسيس ما يتوافق مع إمكانية الرفض والقبول بهذا الأثر والاكتشاف. هي إذن سلطة بمواجهة سلطة موازية لا يمكن لأي منها نفي الآخر))[2].

وقد تمكن الروائي عبر هذه الفعالية الفنية أن يغرس أفكاره بين الواقع والافتراض، من خلال تدوين الأحداث السياسية، التي تكشف من خلالها ((أعماق المشكلات الصغيرة للمجتمع العراقي متمثلاً في العائلة الصغيرة التي تعيش تفاصيلها اليومية في ظل مؤثرات الواقع السياسي المضطرب. وهذا الروائي اليساري كان يعني كثيراً بربط الواقعية الروائية بالعوامل السياسية والاقتصادية، وينظر إلى الوقائع الاجتماعية على أساس الحتمية التاريخية التي ينقلها عبر لغةٍ سرديةٍ مقنعةٍ))[3]. أي يبدأ الروائي في حياكة هذا النسيج السردي عن طريق الترميز السلطوي في هذا العمل الفني، وكيفية بناء الأحداث والشخصيات السلطوية، بوصفها عنصراً مهما في عملية الحوار والصراع الوجودي بين المجتمع والسلطة الناتجة عن صراع هذه الشخصيات، التي تكون في الغالب مهيمنة على جميع العناصر السرديّة في الروايّة.

وهنا يمكن ملاحظة أنّ الكاتب قد بين في رواياته، أن الشخصية السياسية في الروايات لم تكن ثابتة في زمن معين، وإنّما تم تحديدها في رواية واحدة فقط. فإن الشخصية السلطوية تتغير حسب الفترات الزمنية التي نبتغي دراستها في رواياته، ففي بعض الأحيان تكون الشخصية المقصودة هي نفسها في بعض الروايات، ولكن بصيغة رمزية أخرى. وقد عبّر عنها بمصدر القوة. ((فكان بناء الشخصية غير سليم، لأنه بني على القوة، والصراع من أجل البقاء، وكانت النزاعات هي من يحسم الأمور، والبقاء للقوي، وأصبح البلد موطنا للفتن والمشكلات والصراعات، والتحامل على السلطة السياسة الحاكمة، التي لم تنصف المواطن هي الأخرى))[4]. فالدراما إذن، هي مفهوم يجسد الأحداث الإنسانية المختلفة من زمني الماضي والحاضر، عبر تيارات أدبية واسعة، ومنها سرد الأحداث عند الروائيين ووجهات نظرهم، برصد التحولات السلطوية والتقلبات السياسية. والذي يؤكد هذا النوع من التعامل مع الواقع السياسي هو وجوده الرمزي او الواقعي في النصوص الذي يمثل العلاقة الأدبية بالسلطة. فإن هذا النوع من الأدب، يرتبط بالفرد والسلطة التي انشغل بها المجال السردي، وأخذ أكثر مساحة؛ لأن فيها الكثير من التفاعلات السياسية المتأتيّة من الأحداث الواقعية، فيكون فيها نمط الدراما فعّالاً ونشطاً بتفاصيل الواقع وهو يمثل المجتمع بشرائحه المختلفة. لذا، يستعمل الروائي التصوير عبر هكذا تأثيرات تتداخل بين الأدبية والسلطوية، معتمدا على عنصر الترميز للشخصيات السلطوية الواقعية. أي يكون أكثر هذه الشخصيات واقعي، وإنّ كانت لا تنتمي لبيئة المكان أو موقع الحدث؛ فيوظفها الروائي في أدبه، معبراً عنها بطريقة إيحائية للدلالة على السلطة. ويمكن أن نفصّل الحديث عن قضية السلطة في اعمال (أحمد خلف) بأنماط هي:

1- الصراع على السلطة

يتجلى هذا النوع من الصراع في أغلب روايات (أحمد خلف). فالصراع هو تعارض على شيء غير مرغوب به، بعضه يكون داخل النفس، والأخر يكون بين الفرد والفرد الآخر، أو بين الفرد والمجتمع أو العكس، ومن خلاله يتم رصد البناء الدلالي وعلاقة السلطة بجميع عناوينها السياسية. وهو هنا يسلط الضوء ويحاول الكشف عن حقائق هذه الشخصيات السلطوية التي حكمت العراق، ولكل زمن مظاهر صراع حول السلطة، ويتمثل هذا الصراع بأشكال مختلفة، أي بين وقائعه وانتهاكاته في المجتمع، وما يناسب

حياتهم السياسية والثقافية. ومن أمثلة ذلك؛ رواية (الذئاب على الأبواب) في مضمونها الشكلي يتمثل فيها الصراع الداخلي بين الفرد والسلطة، فتعتمد شخصية الفرد على شكلها الرمزي بحيث تبين نفسها في كل زمن، وتكشف عن نفسها أمام كل جيل. مثلما يتبين في هذا النص: ((قيل إن هذا يجري معظمه سراً وإن نفراً من المتنفذين في الدولة لجأ إلى هذه الوسيلة لغرض الانتقام من السلطة، فقد أشيع أن ثمة تناحرات بين الأشخاص المتنفذين هي التي تأتي بأفعال كهذه وتدفعها للبروز إلى السطح ولو بصورة تتسم بالكتمان الشديد، وربما يحدث هذا لغرض الثراء عن طرائق لا يمكن أن تخطر في بال عاقل، كما قيل إن الحكومة هي التي تبث كتباً مضادة لها، والغاية منها رصد من يشتريها ومعرفة ما إذا كان ذلك الشخص ينتمي إلى جماعة من الجماعات السياسية السرية أم أنه مجرد فضول يركب عقل المرء في أيام معينة تروج فيها تلك الأفكار في وقت معين وزمن معلوم)) [5].

فكان الصراع بين السلطة والفرد في محاربة أبنائهم، وزعزعة الأوضاع من خلال سلطة أخرى، التي يمثلها الحزب آنذاك. وكان لهذه الفعاليات دور فعال على الرغم من تشكلها الخفي. فقد ذكر في نصه مضامين مهمة، وكيفية التعامل الدلالي لرمزية البناء، فإن السلطة كانت تصطاد أبنائها بطريقة سرية، وكذلك قد أوحى الكاتب على تحديد هذه الظاهرة الزمنية المكانية التي ظهرت في فترة التسعينات من القرن الماضي، لذلك قام باسترجاع الزمن الماضي، وتصوير الأحداث بأنها كانت سراً. وكذلك بين الشخصيات الترميزية وهم(المتنفذين) على كسب المتلقي، وتعتبر شخصيات سلطوية ثانوية، التي تكشف عن نوع التحكم بقراراتهم في مجالات عدة، فهي السلطة التي كانت تحارب مجتمعها، بأساليب متنوعة.

وقد تمكن الروائي أحمد خلف من تصوير نمط جديد من (دراما أحداث السلطة) في العراق، وهو يبين طبيعة الصراعات بين الفرد والسلطة مستخدماً معها لغة الترميز للشخصيات، علماً أن أكثر هذه الشخصيات كانت مضمرة، تُقتل بصمت، فقد بين دلالة السلطة عن طريق الفن الروائي الدرامي، مختاراً لها علامات من المصطلحات اللفظية، التي تدل على بنائها الرمزي السلطوي، مثل (سراً، ومتنفذين، والانتقام من السلطة). وكل هذه العبارات تشير على دلالات وجود صراع بين الفرد والسلطة. فإي سلطة تقتل أبنائها من خلال ترويج الكتب؟ وهذه من الظواهر التي مرّت بشكل مؤسف على العراق، في زمن التسعينات، فكانت السلطة الحاكمة قد مزجت الدم بالدين والسياسة. وأما السياسة فقد كانت عند السلطة ليست منهجاً سياسياً فحسب؛ وإنّما الخوف من الانقلاب على الشخصية الحاكمة آنذاك. إذ نستشف هذه الدلالات من خلال الدراما السلطوية، فقد تمكن الكاتب من سرد الأحداث بكل تفاصيلها على نمط التتابع الواضح.

2- الصراع بين السلطة والفرد

إن طبيعة الصراع بين الفرد والسلطة، قائم على عملية أستخرج الأحداث بين السلطة بالسلطة، وإنّما كان الصراع داخلي فيما بينهم، على التصدي للسلطة من خلال أبنائهم، يقول:((في تلك الليلة بالذات، كان مارس قد جمع عزيمته وطفح فؤاده بالإرادة وقوة الشكيمة، وتوجه الى زيوس الذي كان يغط في سبات بأحضان مينرفا، التي أدهشها حضور مارس إلى مخدع زيوس الجبار دون علم الأخير. تساءلت مندهشة للزيارة المفاجئة:

- ما الذي يريده مارس ذو الوجه القاسي في ساعة كهذه؟

وخروج الصوت ثابت النبرات:

- إن ما أبغيه يا مينرفا الجميلة هو الصولجان الزيوسي يبقى معي لنهار وليلة..
- هه. يا لك من إله وقح لا يضع لزيوس العظيم قيمةً واعتبار. أي صولجان وأية حكمة من قدومك في هذه ساعة كهذه؟

لكن مارس لم تثنه كلمات التأنيب التي القتها مينرفا عليه، عاد الى حليته ثانية:

- ساعديني يا منيرفا الطيبة، أتوسل اليك ان تعطيني الصولجان لليلة واحدة وسوف اعيده الى مكانه في نهاية النهار. حتماً، سيغط زيوس لثلاثة أيام في النوم وربما أكثر من ذلك، لن يعرف أنى استعرت منكِ صولجانه العظيم، والآن هيا سلميني صولجان القوة والحكمة ودعي العجوز يغط في رقاد مريح. انظري يا مينرفا اليه كيف اسلم لك قياده)) [6].

هنا نرى إن الكاتب قد بين أنماط كثيرة من التحولات السردية وتمثيل سلطة الفرد في هذا المجال، التي شكلها في رواياته، ومن هذه الأنماط التي حددها خلال سرده للأحداث. فقد عمد على تحديد زمن الشخصيات المتصارعة مع بعضها، أي أتبعها بنوعيات أنماط ترميزية أخرى؛ لأجل الكشف عن سلطتها وتاريخها السياسي، كما كشف عن الصراع الداخلي لهذه السلطة، إي بيان نمط متضارب عن قوتين سلطويتين ظاهرتين، هما: للأب، والثانية لابنه (مارس) الذي يعدّ القوة الثانوية. وهذا دلالة على تنميط الكاتب في أسلوب التعبير ورسم الأحداث بين الفرد والسلطة؛ ليجعل منها نمط التناص كلاسيكي نابع من حضارتين روما

والإغريق؛ فكان نمط التعبير الرمزي للواقع العراقي. وقد أطلق العنان للقارئ في رسم الدلالة والتعبير عن الحكاية وتصوير السلطة، في زمن كان الصراع من أجل الصولجان، وهو رمز السلطة المدمرة في بلاده. لذلك استعمل (مارس) نمط الخديعة للحصول على صولجان من أبيه، عن طريق التوسل والخداع مع منيرفا، من غير علم (زيوس)، بأن تسلم له الصولجان لليلة واحدة فقط. وهنا استعمل الروائي نمطين من التصوير الدقيق هما: (اللون، والصوت) من خلال الحديث، لون الوجه الذي كان يريد اشعال حرباً بينهما، وكذلك نمط الصوت الذي كان يريد التعبير عن الخراب وسفك الدماء والموت والدمار لبغداد، عن طريق التوسل إلى منيرفا، هيا (سلميني صولجان) الذي كان مصدر سلطة الآلهة عندهم.

3ـ سلطة الفرد مع الحزب

السلطة هي القوة الضاربة التي يعتليها شخص معين. أما الفرد، فهو يمثل فرد من الأفراد الآخرين، (المنظمة الحزبية) التي تفرض أنماطها وسلوكياتها لدى أشخاص السلطة. لذلك فقد بين الروائي المجال الدلالي والترميزية، لهذه التحولات السلطوية، في زمن السطلة الواحدة. وهنا قد بدأ في دلالة التحولات الزمنية، وتمثيل قوة الفرد بقوة الحزب، التي تدين بالولاء المطلق له، فيقول: ((لقد راقت له الفكرة كثيراً في اللحظات الأولى، ظل صامتًا لبرهة من الوقت يفكر في ميلشيات الأحزاب (أو ما يسمى بالجناح العسكري للحزب الذي يدين بالولاء إلى عقيدة عمادها الإسلام)، أي حزب يريد الاقتراب من تخوم السلطة، ووجد في تلك القوات مجالاً ليأخذ أفراد قليلون حيزاً أكثر مما يملكون من إمكاناتهم الذاتية، وضحك في سره وقال يمكن أن ينطبق الأمر هذا على عشرات الأشخاص الذين تتشابه حالتهم وحالتي، ومن المضحك أنه تصور ما تقوم به المجموعة المجازفة بحياتها هو بالمجان)) [7].

لقد عمد الروائي في تحولات واقعية ورمزية عدة ، توزع ما بين الترميز لشخصية السلطة الواحدة في زمن الماضي والحاضر. وقد قام بسرد الأحداث الواقعية في زمن جديد، وهو دخول الاحتلال الأمريكي إلى العراق في عام (2003) والتركيز على تحويل الشخصيات الفرديّة إلى كسب مكانة وسلطة عليا، وقد تجسد هذا في رواية (البهلوان) للروائي (أحمد خلف). فقد وصف الشخصية ورصد تحولاتها بعد أن كانت سلطة الأم واحدة، وهذه الرواية تقودنا إلى تحويل مجموعة من الشخصيات الفردية إلى رجال أعمال ذوي سلطة ومكانة، فهو أعطاها موضع رمزي ضمن أحداث الرواية؛ لذلك فهو يصور الشخصيات التي تغلغلت في رحاب الأحزاب التي اعتبروها مصدر سلطتهم وقوتهم من خلال موضوع الفرد على السلطة، المتمثل بـ(طه جواد) الذي أعلن تمرده الأول على سلطة شيخهم. وذلك يتضح في موضع الحوار عن السلطة وسرقة (رغيف الخبز). وهذه أول عملية تبرز لنا التناحر والتداخل في معايير الشيخ للسلطة. وقد بدأ بعدها الصراع (الأسطة وطه جواد)، باتهامه لـ(مراد) بقضية سرقة قفل الباب، أي أن الاسطة لم يعمل على مقاولات في مستوى محدود؛ لذلك فقد تبين أن الحوار بين الشخصيتين، تبرز فيه ملامح القوة؛ ليكشف عن عنصر السلطة عند الفرد. وهذا قد أسس فكرة اللجوء إلى حزبٍ يسند (طه جواد) في مرحلتين، الأولى: إن تحميه من أمثال الأسطة (محمود)، والثانية: إن يصل بها إلى تخوم السلطة وأعلى مراكزها. وهنا قد عملت فاعلية التخيل بوصفها مبدأ تفعيل مرجعي للموضوع على أن يكون متخيلًا افتراضيًّا بين الفرد والسلطة. ويمكن ملاحظة الأحداث التي سُردت في الرواية، فقد تتمثل فيها سلطة الأحزاب. وهي مجموعة من الأفراد، يتكلمون باسم الدين، ولكن بسلطة متفقة، أي أن دلالة الشخصية السارقة قد تصبح ذات يوم ذي سلطة ونفوذ. لذلك أراد الكاتب هذه الفاعلية التي تقوم على تأسيس صراعات الفرد، التي يصف بها الشخصية (الأنا)، من خلال موضوع التفاعل الشخصي للحدث. أي أنه بدأ بتحويل صورة المتخيل الفردي الى صورة الجمع.

4 ـ صوت السلطة

ثمة تحولات جزئية في التعبير الصوتي في روايات أحمد خلف. الذي يبين فيه نوعية الخطاب الموضوعي ضمن الانعكاسات السلطوية، على مدار تعبير الأشياء الرمزيّة لها في النص، الذي يتضمن معايير بناء الأسلوب الدلالي للخطاب الذي يبتغيه الروائي. وقد يكون تحديد هذا النوع من خلال رؤية الروائي أثناء التعبير الدلالي الذي يشكل نسيج القصة، ومن خلال سياق المخاطب الذي يكشف عن الشخصيات في هذا النوع من الخطاب. فالخطاب السردي ((يستعرض علامات لراوية أو لمؤلفه ولمعرفة المطلقة أو المهيمنة. إن " خطاب الراوي المؤلف" يمثل " موقع سرد الراوي العليم ". إنه الخطاب الذي يضم رواياً عليماً (كلى المعرفة)) [8]. ويكون فيها بيان دلالة الصوت النابع من رؤية الكاتب الذي يستعرض فيها الخطاب ويرسل رسائله عبره ويتلقاه المتلقي عبر إحساسه. أي أن هذه الخطابات هي التي ((تشيع اليوم في خطاب السياسي والثقافي المتداول يشير المصطلح إلى التسلط أو الرقابة الصارمة التي يفرضها فرد أو شعب أو مؤسسة أو غير ذلك على ما عداه لتحقيق مصلحة للمتسلط أو الرقيب. فيقال مثلاً إن الدولة

الفلانية تمارس هيمنة عالمية، أو الحكومة الفلانية تمارس هيمنة على شعبها، أو يقال إن مؤسسة ما تفرض هيمنتها أو أن فرداً مهيمن على الناس)) [9]. ولهذا فإن الهيمنة تتشكل على مستويات عدة فاعلة ونشطة، يبينها الروائي عبر نوعية الخطاب المحكي ومستوياته المختلفة، وعبر هذا النشاط تظهر العلاقة بين اللغة والسلطة. ومع هذا يبرز أسلوبه في اللغة على مستوى الخطاب المباشر[10]. ونستشف من هذا أن الصوت الفاعل و السلطة؛ هما ((اللذان يتحكمان في المواقف والأحداث المقدمة))[11]. لذا فإن من معايير السلطة واعتباراتها تمتلك قدرة الاقناع الذي يكون فيه الخطاب مباشر إلى المتلقي، ويعمل على تجسيد فاعلية استمرار سرد الأحداث المحكيّة، وبهذا تكون وسيلة التعبير والحوار بين السلطة والفرد، وهذا يتطلب كيفية التعرف على هذه الأصوات والتعامل معها. فالنص هو الصوت الذي يمنح تزامن الألفاظ والأفكار لعرض الحوار وطرح المقاصد، كما يعمل على عرض تعدد الأصوات التي تفسر الواقع والمتخيل. وكل هذا النشاط الثقافي يعمل على إنتاج حكاية واحدة، يبين فيها، ويحملها مفاهيم صوت السلطة بين الفرد والمجتمع. وعلى هذا فإن صوت السلطة عند الروائي (أحمد خلف) تمثّل على عدة مراحل من ضمنها (الصوت المنفرد)، الذي برز في مظاهر المجتمعات السلطوية، ويقول: ((وفي منتصف الليل، حدث مالم نتوقعه وما كنا نخشاه عندما عاد أبي إلى الدار في ذلك الليل ثملاً يترنح في سيره ويقف إسماعيل وقد تململ شقيقي في جلسته حتى ينهض على قدميه مشدوهاً أمام نظرات أبي وبصوت مليء بالتهديد والوعيد:

- يا ولد، انا لا أحب من يخونني بل أكرهه ولا أريد رؤيته. هل فهمت يا ولد؟

قال إسماعيل مرتبكاً: نعم، أنت لا تحب من يخونك يا أبي.

- ولا أريد العيش معه.
- .....!
- أنت خنتني يا ولد.

قال إسماعيل مندهشاً في بداية الأمر، ولكن بلهجة تنم عن استفسار وعدم معرفة يقينية للذي تحدث به أبي، غير إنه خفض من نبرة الصوت أثر توجيه الكلام إليه مباشرة، كان يوزع نظراته الحائرة)) [12]. عمل الكاتب على تجسيد عوامل بناء صوت السلطة الفردية في نصوصه، لذا فهي ترصد ظواهر المجتمعات السلطوية، وهنا نؤشر؛ أن هذا النموذج يحتوي على بناء لغوي بأسلوب يتوجه إلى الفرد الهدام للعامل الأسري، من خلال هذه التراكيب التي تؤدي إلى تدمير أسرة مكتملة بما فيها سلطة الأب، لذلك فهو يعتبر أن صفة الأب من السلطات الفاسدة في الحوار.

ولذا يعد المقصود أن سلطة الفرد هو مجموعة من الألفاظ التي فيها بناء دلالي على تهديد لابنه، وهذا التهديد ناتج عن علاقة الأب والابن (إسماعيل) بعلاقة المرأة المؤجرة عندهم. وهي الشخصية الثانوية المؤثرة في الحدث وهي نوع من أنواع السلطة التي أسماها (الحفافة)، وقد استعملت سلطتها الانثوية على الرجال، عبر معيار النداء الصوتي للفرد المتلقي، من خلال أصوات عدّة منها (يا ولد، لا أحب من يخونني، أكرهه، ولا أريد رؤيته). هذا البناء الصوتي ينطوي على سلطة متسلطة من الفرد إلى الجمع. وبعد ذلك يبدأ نمط التأكيد على المتلقي الذي يرتبط بالبناء اللغوي للنص؛ لأنه المقصود من هذه الدلالات، التأكيد عبر البنية اللغوية: (هل فهمت يا ولد). وكل هذا؛ للكشف عن شخصية المخاطب (إسماعيل)، فكانت ردود فعل المخاطب نوعًا من سلطة (الأنا) الفرديّة، فهي لا تريد العيش معه، وهذان الصوتان الفرديان في حلقة لغوية، تأثر فيهما الخطاب الصوتي المنطوي على ترميز السلطة الفردية.

أما صوت الجمع، الذي ظهر في (محنة فينوس) هو الصوت الذي نبع من السلطة الحاكمة لبلاد أثينا، والذي أعطى تصوراً غير مباشر للسلطة الفردية، التي حَكَمتْ بلاد أثينا، مجموعة من الأصوات، وكانت يُعلى صداها في سماء البلاد، فيقول:((لا شك انه زيوس الجبار، الذي لا يطلق صرخة هادرة كهذهِ مالم يكن قد ضاق بالكون كله، ولعلها المرة الثانية التي يطلق صرخة مدوية كهذهِ، فقد كانت المرة الأولى عندما أراد مجمع الآلة قبل سنين التآمر على زيوس للخلاص من سلطته، اطلق زيوس صرخته التي تفجرت اثرها صخور الأولمب عن عيون المياه وينابيعها وقد أنهدرت المياه باتجاه وادي الملوك المقدس))[13]. فكانت هنا عملية بناء الصوتين، بين السلطة والمجتمع على أساس القوة الحاكمة؛ لذلك كان بناء الخطاب نابع من صوت واحد متحكم. وهو السلطة التي أخذت بنائها الزمني عملية التسلط على بلاد أثينا. فصوت (زيوس) هو المثل الأعلى المتسلط على المجتمع، لذلك كانت صرخاته هدّامة للمجتمع على مر العصور، وضاقت منها بلاد أثينا. فكان الشكل البنائي للصوت (زيوس الجبار)، متعدد، ومتجاوز لكل زمن يصرخ بها على أثينا مما يشكّل عدّة أصوات،

وبالتالي تحوّلات ومظاهر عدّة، هي صوت الحرب والقتل بين أبناء الجنس الواحد.

لذلك فإن آلية السلطة تأخذ موضوع الترميز على النمط الصوتي، وهو في حقيقة الأمر قضية الانقلابات التي حدثت في مناطق الجنوب. وأما الصرخة الأخيرة التي فجرت فيها صوت السلطة، جاءت عبر تراكيب هذه الأصوات الرمزية للمجتمع تعني هجرتهم من بلاد أثينا في القرن الماضي، وصرخة الحاضر هي عودة هذه الأصوات إلى أثينا بعد سقوط بغداد.

ومن الملاحظ أيضا أن الكاتب قد استعمل نمطًا من الترميز الموضوعي لقضية السلطة بين الفرد والجمع، التي بين فيها نوعية البناء الدلالي عبر الشكل والمضمون، وقد جاءت متضمنة في الأحداث بصفتها بنية لغوية، والخطاب بشكل عام، وقد تهاوت عليها أصوات حقيقية لهذه البلاد بشكل واضح. وهذه الرمزية في الحقيقة كانت بين الواقع والافتراضي في مفهومها السيسولجي للسلطة، فقد عمد الروائي إلى الكثير من هذه المواجهات الأدبية بين الفن وموضوع السلطة.

الهوامش:

(1) دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ميجان الرويلي، مصدر سابق: 345.

(2) دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، مصدر سابق: 72.

(3) رواية، البهلوان، أحمد خلف: 106.

(4) رواية، الذئاب على الأبواب: 15.

(5) رواية، محنة فينوس، أحمد خلف: 127.

(6) رواية، محنة فينوس، أحمد خلف: 55.

(7) رواية، موت الأب: 60.

(8) الفن والسلطة، مصطفى عيسى، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، 2010: 5.

(9) قاموس السرديات، جيرالد برنس، مصدر سابق: 23.

(10) القصة القصيرة جداً في السرد العربي المعاصر أنظمة البناء وإنتاج الدلالة، محمد حمزة الشيباني: 164.

(11) اللغة المقنعة المواجهات الرمزية بين النص والسلطة، ناظم عودة، ط1، دار كنوز المعرفة للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، 2018: 19.

(12) المتخيل السردي مقاربات نقدية في الفن الروائي العربي، فالح الركابي: 41.

(13) ينظر: اللغة والخطاب، عمر اوكان، ط1، رؤية النشر والتوزيع، القاهرة، 2011: 37- 38.

المصادر

- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ميجان الرويلي، ط5، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2007.
- رواية موت الأب، احمد خلف، ط١،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
- رواية، البهلوان، أحمد خلف، ط1، النخبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2020.
- رواية، الذئاب على الأبواب، أحمد خلف، ط1، دار النخبة، 2018.
- رواية، محنة فينوس، أحمد خلف، ط1، الينابيع للطباعة للنشر، سورية، دمشق،2010.
- الفن والسلطة، مصطفى عيسى، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، 2010.
- قاموس السرديات، جيرالد برنس، تر: السيد امام، ط 1، ميريت للنشر والتوزيع، قاهرة، 2003.
- القصة القصيرة جداً في السرد العربي المعاصر أنظمة البناء وإنتاج الدلالة، محمد حمزة الشيباني، دار نيبور للطباعة والنشر العراق، ديوانية، ط1، 2016.
- اللغة المقنعة المواجهات الرمزية بين النص والسلطة، ناظم عودة، ط1، دار كنوز المعرفة للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، 2018.
- اللغة والخطاب، عمر أوكان، ط1، رؤية النشر والتوزيع، القاهرة، 2011.

- المتخيل السردي مقاربات نقدية في الفن الروائي العربي، فالح الركاب، ط1، امل الجديدة طباعة نشر توزيع، سورية دمشق، 2019.